# شعرية اللغة في النص الإبداعي
## "شاعر زليتن أنموذجاً"

**د.شمسي عبد الغني دعوب**
**الجامعة الأسمرية الإسلامية**
**كلية الآداب**

**مقدمة**

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فلقد حظي أدب المشرق بدرس وافٍ وتحليل ضافٍ ، لم يلقه صنوه في المغرب العربي، وفي القطر الليبي على وجه الخصوص ، وذلك ما حدا بي إلى التفكير في دراسة الأدب الليبي .

فأخذت أبحث في أعلامه عمن أوجه له العناية وأخصه بالدرس ، وأعلام ليبيا المغمورون كثيرون ، ونتاجهم المطمور قد يكون غزيراً ، وكان أقربهم إلى الدكتور المرحوم الفاضل (محمد مصطفى صوفية) فهو من بلدي زليتن وقد أشرف عليّ في رسالة الماجستير، ونهل من علمه وأدبه طلاب كلية اللغة العربية في أغلب الجامعات الليبية ،وليس الانتماء الوطني هو الدافع لهذا البحث ، بل إن الرغبة في استكشاف القيمة الأدبية لهذا الشاعر دفعتني إلى البحث في تفاصيل شعره نتاج هذه الحياة يحدوني في ذلك ثقتي في الأهمية العلمية التي يكتسبها الكشف عن مواطن الشاعرية في شعر أي شاعر، والتعريف به وبحياته الحافلة بالنشاط العلمي ، كما هو الشأن في حياة الشاعر(محمد مصطفى صوفية ) .

هذا عن دواعي البحث ، أما أهدافه فمن أهمها

- محاولة الارتقاء ـ من خلال الدراسة والتحليل ـ بأدب هذه البيئة إلى أدب (البيئتين الشامية والمصرية) .
- محاولة إظهار المعالم المطموسة ، وإجلاء الغموض الذي يكتنف الأدب الليبي بخاصة .
- محاولة إنصاف علم من أعلام الشعر العربي الليبي الحديث ، وقلم من أقلام الأدب المغمورة التي حاولت أن تجدد في أدب هذه البيئة بعامة وفي الأدب الليبي بخاصة .
- سد ركن من الأركان الشاغرة في المكتبة العربية .

ومن العناصر التقليدية في مقدمات البحث أن يتطرق الباحثون إلى سرد الصعوبات التي واجهتهم في أثناء البحث ، فيطنبون في ذكرها وكأنهم يكتشفون جديداً لم يكونوا يتوقعونه عند بداية البحث ، إذ من الجائز . بل من المفروض . في نظرهم أن يتم البحث دون صعوبات أو عراقيل .

أنا لا أذكر الصعوبات لا لأنني لم أتعرض إليها بل على العكس تماماً ، فإن دراسة هذه الشخصية يعد جديداً (بكراً) لم يدرس سابقاً . فيما أعلم . .

أما المنهج الذي توخيته في هذا العمل فقد اخترت أن أجعله منهجاً يشمل الدراسة التي تفيد من المناهج النقدية الحديثة المعتمدة على الكشف والتحليل من أصحاب المناهج النقدية الحديثة ، وما عربوه عن بارت، وتودورف وغيرهم من أ صحاب المناهج النصية في الغرب، مستفيداً في الوقت ذاته من الدرس البلاغي كما استقر عند أعلامه كعبد القاهر الجرجاني وغيره .

فطبقت ذلك في دراسة الديوان الشعري (لمحمد مصطفى صوفية)، الذي عنونته بشعرية اللغة في النص الإبداعي (شاعر زليتن أنموذجاً) لأدرس شعرية اللغة عند "بن صوفية" والغوص في أعماق النصوص الشعرية وسبر أغوارها ، واستخلاص ما ورد فيها من أدوات فنية اعتمدها الشاعر من أجل إبراز جماليات التشكيل اللغوي من كيفية اختياره للألفاظ والتراكيب والأساليب وعناوين القصائد بحيث أحقق لشعره الجمالية والتفرد. وقد أعقبت هذا البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

**شعرية اللغة في النص الإبداعي**

**" شاعر زليتن[1] أنموذجا "**

تعد اللغة أداة هامة في التفكيك الإجمالي للنص الإبداعي، وهي وسيلة الشاعر في التغير، ومادته الخام في خلق إبداع أدبي مميز يستجيب للواقع النفسي ويحقق التجربة الشعرية، ولأن لغة العمل الأدبي هي غاية مقصودة في حد ذاتها فإن الشاعر الماهر هو الذي يستطيع السيطرة على مفرداتها وتوظيفها بحيث يحقق لشعره الجمالية والتفرد .وهذا الأمر يفرض علينا البحث في الكيفية التي استطاع بها الشاعر تحقق الجمالية والتفرد، "حيث لا يغيب عن أذهاننا أن لغة الشعر في طبيعتها ليست لغة المفردات أو الألفاظ ،بل إن الصياغة والنظم وتموقع كل مفردة داخل

---

([1])مدينة زليتن إحدى مدن ليبيا ، يبلغ تعداد سكانها ربع مليون نسمة....اشتهر أهلها بحب العلم الشرعي وطلابه ، بها عدد من المؤسسات التعليمية ومنارات تحفيظ القرآن الكريم ، احتضنت فحول الشعراء على مراحل زمنية متقطعة كالفقيه الناظم محمد الفطيسي والشاعر القاضي : أحمد الشارف والأديب القاضي محمد الهادي انديشة ، والفقيه ارحومة الصاري، والشاعر ابراهيم الصاري، والأديب الشيخ إبراهيم انديشة وغيرهم كثير.. كان آخرهم في الزمن المعاصر شاعر مدينة زليتن الأديب الشاعر الدكتور المرحوم: محمد مصطفى صوفية ، له ديوان شعر مطبوع ،عنونه بالبيان ،جاء في( 160) صفحة متوسطة الحجم ، شمل (160 )عنوان قصيدة ما بين الطويلة والقصيرة ، طبع بإشراف المجلس العام للثقافة بليبيا سنة 2008م.

سياقها في اللغة الشعرية هو ما يمنح العمل القوة والتوهج والجمال أو يضرب به في أعماق الضعف والركاكة والابتذال ، بمعنى آخر أن لغة الشعر هي إعادة تنظيم اللغة العادية"[1]. بحيث تشكل هوية الإبداع الشعري ، والبحث في قوانين هذا الإبداع يصل بنا إلى التعرف علي شعرية العمل الأدبي. حيت تربط الشعرية بفنية العمل الأدبي وجمالياته، وهدفها البحث عن الإبداع والخلق والتغيير الذي يحقق التميز والتفرد في التأليف .

إن اللغة الشعرية هي لغة خاصة منفردة من أديب لآخر ومن عصر إلى آخر، "وهي تعمل على تحطيم اللغة العادية وإعادة بنائها ثانية ، في أنساق تركيبة عاطفية جديدة، أي أنها تقدم صورة جديدة للحياة والإنسان، وهي لغة كيف وغرابة، لغة تؤلف ما لا يأتلف تصدم ،تعبر إلى حيث الإدهاش والسحر"[2]وتستخدم كل ما يمكن أن تتيحه اللغة من فضاءات وإمكانات كالمجاز والاستعارة والأسطورة والرمز وكل ما توحي به من تجريد ومن إمكانات جمالية وفكرية ، فاللغة الشعرية "هي صفة تطلقها على قدرة العمل الأدبي على إيقاظ المشاعر الجمالية ،وإثارة الدهشة وخلق الحس بالمفارقة.....وبهذا المعنى أنه لا نموذج لها من الخارج نظام اللغة"[3].

وانطلاقا من هنا فإن شاعرنا (بن صوفية) يقوم عند بناء نصه الشعري بتغير الألفاظ التي تتمازج وتتسق فيما بينها لتكوين نصه الشعري، وهو في هذا يخرج الألفاظ من معانيها المعجمية ليعطيها وظيفة جمالية، وبذلك ينزاح بها عن اللغة العادية إلى اللغة الأدبية التي تحمل شحناته العاطفية وتوجيهاته الفكرية وتجسد أحاسيسه ومشاعره الذاتية فتُطبع بحسه وشعوره.

تطل دراسة شعرية اللغة عند (بن صوفية) الغوص في أعماق النصوص الشعرية وسبر أغوارها واستخلاص مما ورد فيها من أدوات فنية اعتمدها الشاعر من أجل إبراز جماليات التشكيل اللغوي من كيفية اختياره للألفاظ والتراكيب والأساليب وعناوين القصائد:

### 1- شعرية اللفظ:

الكلمة عنصر رئيس من عناصر البناء الشعري، والشاعر دائم الحرص علي استخدام الألفاظ التي تنسجم تمام الانسجام مع المعاني الذي يريد أن يبثها .ويستطيع الشاعر أن ينتج من الكلمات العادية قطعاً سحرية يعطيها من روحه قوة وحيوية حتى يجعلها تتسع لمشاعره وعواطفه وأحاسيسه التي يريد نقلها للسامعين، فيكون إبداع الأديب بقدر نجاحه في اختبار مادته ، وتوفيقه في انتقاء ما يخدم فنه، ثم نظم تلك الألفاظ بشكل مؤثر تولد عنه الإبداع الفني المتميز ،ومن هنا كانت الألفاظ المشكلة داخل السياق الشعري من أقوى العوامل التي تتوقف عليها جمالية

---

([1])الإيقاع في الشعر السياب،سيد بحراوي،ص:10.

([2]) ينظر: إن من البيان لسحرا.

([3]) استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس، ص: 201 .

النص الأدبي وفنيته ،وكانت الدقة في انتفائها ووضعها في مكانها المناسب ،أساسا للتشكيل الفني الجميل وإذا نحن جئنا إلى اللغة الموظفة في شعر بن صوفيا وجدنا ألفاظها تحمل طاقات إيحائية وشحنات عاطفية متنوعة الاستخدام بين الرقة والعذوبة والسهولة والفخامة والجزالة وذلك بحسب الأغراض التي ترد فيها وإليك بعض النماذج من شعره :

وهذه أبيات من قصيدته التي حملت عنوان "ذكريات"

| | | |
|---|---|---|
| **أعدت الذكريات وكنت أرنو** | *** | **إلى حب تمكن في فؤادي** |
| **فقلت لها سليني إن حبي** | *** | **يعيش بيقظتي أو في رقادي** |
| **تعيش النفس في طرب وأنس** | *** | **وزهو حين تظفر بالمراد** |
| **وما للذكريات لذيذ طعم** | *** | **إذا ما خانها صفو الوداد** |

فقد جاء النص يتمتع بسهولة الألفاظ ورشاقتها ووضوح المعني، وجاءت لغته مبتعدة عن الغموض تميل إلى الرقة والسلاسة ، وإذا ما نظرنا إلى أبياته التي أوردها في قصيدة مدح فيها الشيخ أحمد الشارف :

| | | |
|---|---|---|
| **قم حيّ شيخا شاعرا ملأ الدنى** | *** | **علما وشعرا رائقا ومُحبّرا** |
| **قم حيّ أحمد شاعر الوطن الذي** | *** | **بلدي زليتن أنجبته الفاخرًا** |
| **الشارف اللقبِ الفتيَّ بيانه** | *** | **أكرم به شيخا جليلا شاعرا** |

وإذا ما تتبعت أبيات القصيدة فإنك تجد بجانب كلمات (ملأ الدنى، محبرا ، الفاخرًا ، جليلا، ) كلما أخرى من مثل (مظفرا، المفخرا، الأمرا ، نهج فخار،...)، وهي كلمات جزلة تضفي على النص فخامة ورونقا حتى كاد النص يتوهج بجمال هذه الألفاظ .

فبالمقارنة بين النصين نجد بن صوفيا قد أحسن توظيف لغته في السياقات المختلفة حيث أتى بألفاظ الرقة والعذوبة حين كان السياق سياق حنين وذكريات ، وعندما كان المقام مقام مدح وفخر جاء بالألفاظ الفخمة الجزلة ،"فالذي يجعلنا تنسب القول الشعري للشاعر هو وضعه لهذه الألفاظ في نظم السياق"[1] ، وإذا نظرنا إليه من زاوية اخرى نجد أن لغته مشدودة إلى لغة الشعر القديم وإلى لغة التراث الشعر العربي، فهو مدرك لخصائصها ومميزاتها وتراكيبها ، ونظامها النحوي والصرفي ، ولغة ديوانه تشهد على ذلك ، إذ نجده يحاكي لغة تضرب بجذور راسخة في التراث العربي ، وكثيراً ما يجنح إلى ذلك حين يرثي أو يمدح واحداً من معاصريه ، ويمكن أن نستدل على إيثاره وتوظيفه لأساليب القدماء في قرض الشعر بقصيدة له يرثي فيها أحمد الشارف ومنها

(1)الأسلوبية ونظرية النص ،إبراهيم خليل ،ص36.

| | | |
|---|---|---|
| **قم حيّ أحمد شاعر الوطن الذي** | *** | **بلدي زليتن أنجبته الفاخرا**[1] |
| **شيخاً إذا ذكر القريض وأهله** | *** | **في ليبيا رفع اللواء مظفرا** |
| **نهجاً فخارٍ لا يبارَى فيهما** | *** | **حاز المعالي من إذا عزم انبرى** |
| **فلتسألوا التاريخ عن أعلامه** | *** | **تجدوا القضاة تسنّموا تلك الذُّرى** |
| **أنشودة الشعب العظيمة صغتها** | *** | **قلّدتها جيد العروبة فاخرا**[2] |
| **كنت المجلجل في السماء بشعره** | *** | **فليصحُ شعبٌ أو يموت فيقبرا** |

وهذا الذي نهجه صوفية ، نجد رثاءه شاجي الأقاويل ، مبكي المعاني مثير للتباريح ، متمسكاً بطريقة الأقدمين لغة وأسلوباً ، فألفاظه مألوفة سهلة في وزن متناسب ، لا غريب فيها ولا حوشيّ ، وكذا لا تنافر بين لفظ وآخر ، ونلحظ فيها حضوراً لصيغ وألفاظ عرفتها لغة الشعر في القديم ، ومن أمثلة ذلك : " القريض ـ يباري ـ تسنّموا ـ المجلجل ... " فنلحظ مما تقدم أن لغته متينة قويمة متمكنة من الأسس التراثية منفتحة على عصرها ومناخها الحضاري والثقافي والفكري.

كما أن اللغة في شعر صوفية مشدودة إلى القرآن الكريم ، فقد كان حافظاً للقران الكريم ، ملماً بالكثير من تفاصيل علومه ، مما جعل لغة القرآن تتسرب إلى لغته الشعرية بقصد أو بغير قصد ، فهو كثيرٌ ما يوظف اللغة القرآنية ومفرداتها بوسائل متعددة حيث يجنح أحياناً إلى توظيف اللفظ القرآني والمعنى الذي يتضمنه ، ويميل أحياناً إلى استدعاء المعنى دون اللفظ، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدته (نفحات من شهر الصيام)

| | | |
|---|---|---|
| **تتلو كتاباً أحكمت آياته** | *** | **شرُقت به فبنوره تتألق** |
| **في ليلة القدر العظيم نزوله** | *** | **أعظم بها وبفضله لا يلحق** |
| **وحي عظيم لا يبارى قدره** | *** | **ومبارك وعن الهوى ما ينطق** |

ففي هذه الأبيات يستوحي الشاعر القرآن لرسم صوره الشعرية والتعبير عن أفكاره ، ويعمد إلى الآية أو الآيات المستوحاة فيستعير بعض لفظها ويضمنها شعره، وفي هذه الحالة يكون أثر القرآن أوضح ، ولم يقتصر على جانب المعنى ، وإنما تعداه إلى التوظيف اللغوي باستعمال الألفاظ بعينها ، فكأنه يريد أن ينصّ على مصدر إلهامه موظفاً الدليل اللفظي على انتقائه للفكرة القرآنية ، فلفظة (أحكمت) في هذه الأبيات ترشد بشكل واضح إلى الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ أَلَرٰ ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [3] وفي البيت الثاني إشارة إلى ليلة نزول

---

([1]) محمود صوفية ، الديوان ، ص31.

([2]) إشارة إلى قصيدة أحمد الشارف التي رثى فيها شيخ الشهداء المجاهد عمر المختار ، وهذا معنى قوله (أنشودة الشعب) ومطلعها:
رضينا بحذف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا
ينظر: علي المصراتي ، " أحمد الشارف ـ دراسة وديوان ، ص9.

([3]) سورة هود : الآية رقم (1)

القرآن وهي من أعظم الفضائل من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ [1] ؛ أم البيت الثالث ففيه إشارة إلى نزول الوحي على الرسول ﷺ . وأنه الحق من ربه ،﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ [2]

ومن أمثلة هذا التوظيف قوله في قصيدة (حفيد المتطلينين) :

**ولا بقيت ولا عمرت ديار** *** **بنجّار بنسل الكافرينا**[3]

**فنوح قد دعا والوعد حق** *** **وكان لنا دعاء المرسلين**

فقد استخدم ثارة الألفاظ القرآنية من روح النص القرآني باقتباس لكلمات قرآنية كاملة من قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّاراً ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[4] والوعد الحق هو استجابة الله لدعاء من نصر دينه ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾[5]

كما أن الشاعر قد وظف المعاني القرآنية في مواضع كثيرة من شعره خصوصاً منها تلك التي تعني بمضامين دينية ، ولننظر قوله في قصيدة (**أيها الساقي**) [6]

**أيها الساقي تلطف** *** **بكؤوس من لبن**

**وكؤوس من نهير** *** **عذب غير آسِن**

**وكؤوس من رحيق** *** **لذة للمتقين**

**وكؤوس من مُجاجِ** *** **النحلِ تصفو لا تمن**

---

([1]) سورة القدر : الآيات رقم (1–3)

([2]) سورة النجم : الآيتان رقم (3–4)

([3]) محمد صوفية ، الديوان ، ص53.

([4]) سورة نوح ، الآيتان (28-29)

([5]) سورة الحج ، الآية (38)

([6])محمد صوفية ، الديوان ، ص111.

هذه المعاني التي تعبر عن الروحانيات اللطيفة ، والشفافية الطاهرة التي تعبر عن الصفاء والطهر في الخمرة والعشق بأسلوب الفن المجرد الطاهر العفيف هي مضمنة أو مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[1]

فالشاعر يقدم بذلك أمثلة حية على تأثره بالأسلوب القرآني واقتداره على توظيف هذا التأثر داخل سياقات فنية ناجحة ، مازجاً بين تجاربه وأفكاره الشخصية ، وبين ما يستخدمه من مضامين ومعاني قرآنية ، فشعر صوفية لا يستعير أي لفظ ولا يوظف أي معنى حتى يهيئ لجميع ذلك المناخ الملائم لوجوده الجديد ، فلا يظهر من شعره من ذلك إلا ما يحقق التجانس بين الألفاظ والمعاني وتتألف وتتآزر مع ما يقتبسه أو يوظفه من الآيات القرآنية في قالب أدبي محكم النسج

**شعـــرية التراكيب :**

إذا كانت المفردات أحد العناصر الفنية التي يعضد بها الشعر قدرته على الإبداع فإن الصياغة هي صاحبة الريادة في انتظام تلك المفردات وسلك الإبداع والجمال ،وهذا النص هو محك الأصالة والتفرد وأساس التمايز بين شاعر وآخر .

ينبغي ألا يغيب عن الدهن أن لغة الأدب في طبيعتها ليست لغة المفردات أو الألفاظ ، بل إن الصياغة والنظم وتموقع كل مفردة داخل سياقها في اللغة الشعرية هو ما يمنح ذلك العمل القوة والتوهج والجمال أو يضرب به أعماق الضعف والركاكة والابتذال.

ويمكن القول بأن الكلمات " تخزن بداخلها مشاعر وإحساسات وهي بتعاملها مع غيرها في داخل سياق لغوي قادرة علي منح بعضها البعض دلالات وفعاليات خاصة، وبذلك تكون اللغة في يد الكاتب أو الأدبي في حركة تشكيل مستمرة، والفن الأدبي استمرار لإمكانات اللغة التي تنتهي عند حدٍ"[2]

---

([1])سورة محمد ، من الآية (16)

([2])قضايا النقد بين القديم والجديد،محمد عشماوي ،ص24.

**الانزياح:-**

يشكل الانزياح محورا من محاور الشعرية العربية الحديثة، كما ظهر في تراثنا اللغوي والنقدي من خلال وضع ابن جني بعض أشكال الانزياح التركيبي كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير ضمن ما أسماه بشجاعة العربية[1]

وقد عد النقاد المحدثون الانزياح التركيبي واحدا من أهم العناصر المكونة للغة الشعرية، فالشاعر (اراغون) يؤكد بأنه "لا يتحقق الشعر إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلق اللغة مع كل خطوة .وهذا يفترض تكسر الهياكل الثابتة للغة وقواعد النحو وقوانين الخطاب"[2].

وقرن "جان كوهن" الانزياح التركيبي بالانزياح الدلالي وسماه "المنافرة"، ورأى أنه يمثل خرقا محدودا إذا ما قيس بالمنافرة التي تعد انزياحا صارخا، فهو يرى أن الشعر تشكيل بالانزياح المستمر علي اللغة الشائعة"[3]، وعرف "تودروف" الانزياح على أساس هذه الظاهرة من ظواهر الانزياح بأنه: "لحن مبرر ما كان يوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقا كليا للأشكال النحوية الأولى"[4].

ويشكل المؤثر الوجداني للوظيفة الشعرية الغاية القصوى التي يرتجيها المبدع من وراء الانزياح التركيبي وغيره من الانزياحات الأخرى إلا أن تحققه لن يكون على حساب الدلالة، لأن المبدع عندما يتجاوز الإطار الثابت النفعي للغة يظل حريصا دائما على تحقيق الهدف التأثيري والإيصال في الوقت معا"[5].

وبعد هذه المقدمة النظرية البسيطة، نقف على مظاهر الانزياح التركيبي، بوصفه ملمحا مهما من ملامح الشعرية من خلال الوقوف على الأبعاد التالية :

أ- التقديم والتأخير.ب-الحذف - الاعتراض د- الالتفات

**التقديم والتأخير :**

تتضح الشعرية في دراسة ألوان من صيغ بناء الكلام كالتقديم والتأخير الذي هو انزياح تركيبي فيصبح بذلك ملمحا مميزا للغة الشعر، ويقوم الانزياح التركيبي على ما يقوم بين الكلمات من علاقات من شأنها أن

---

([1]) ينظر: الخصائص،ابن جني ،1\ 360.

([2])ينظر 722.

([3])ينظر 725.

([4]) ينظر 706.

([5]) ينظر 75.

تسهم في توليد الشعرية، وتقوم ظاهرة التقديم والتأخير عند (جان كوهن)على أساس "الانزياح عن القاعدة التي تمس تركيب الكلمات"[1] بحيث يعمد الشاعر إلى تحريك الكلمات عن خواصها الأصلية إلى أماكن جديدة فيقوم بتقديم ماحقه التأخير كالخبر أو المفعول به ،ويؤخر ماحقه التقديم كالمبتدأ أو الفعل ويكون ذلك راجع لغرض جمالي يريد تحقيقه.

وقد عقد عبد القادر الجرجاني فصلا في كتابه (دلائل الإعجاز) بعد أن أدرك أهمية هذه الوسيلة الشعرية من الناحية الفنية تناول فيه بعض الشواهد الشعرية والشواهد القرآنية التي تؤكد أثرها البالغ في إضفاء الصبغة الجمالية على الصياغة ،حيث قال" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف ،بعيد الغاية لا يزال يفتر بك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفه"[2].

وتبرز مظاهر الانزياح التركيبي بوصفه ملمحاً مهماً من ملامح الشعرية من خلال أبعاد التقديم والتأخير والحذف والاعتراض والالتفات دون التعمق في دراسة تفاصيلها.

## 2- شعرية العنوان:

تتيح العناوين للمتلقي (القارئ)فرصة التعرف على مضمون النص .أضف إلى ذلك الفضول الذي يثيره العنوان حول ماهية النص، كما أن العنوان يأخذ على عاتقه لفت الانتباه إلى النص، وإثارة التساؤلات حوله ، بل يجعل من القارئ يحلّق في آفاق تأويل النص حتى قبل التعرف على مضمونه ، ومما يتحكم في اختيار الموضوع حرص الأديب على ابتكار وسيلة الإثارة لدى القارئ، ونضج التفكير الإبداعي لدى الأديب.

لقد أصبح العنوان في الشعر عنصرا مهما ،فهو ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من الدوال، بل بدأ يشكل واحدا من مفاتيح النص الشعري التي تساعد على كشف مدلولاته واستكناه أسراره، فـ"العنوان يفسر شيئا ما ،.....وأن عنونة شيئاً بعينه تعد سمة هذا الشيء ومعناه ومقصده"[3] ويعمل العنوان موجّها ومؤطّرا للنص ، من خلال بنيته الخاصة التي اختارها الشاعر، ومهمة البحث هنا هي إيضاح عملية الربط بين مكونات النص الداخلية للعنوان الذي أطر القصيدة ، فإذا ما أخذنا عنوان **"البيان"** الذي هو اسم لديوان الشاعر نجده اسم لقصيد يتغنى بمكانة الأدب والأدباء وسلطة البيان في المجتمع العربي ، ودوره في عملية الإبانة والإفهام ، وكل هذه المعاني تدور في الفلك المعجمي للفظة البيان ، لهذا نلاحظ جليّا أن العنوان والنص يشكلان وحدة متكاملة ،فالنص يحيل إلى العنوان والعنوان يحيل إلى النص، وكلاهما يفسر الآخر ويتم معناه ،وهو معنى ثابت لا يحمل التأويل وهذا

---

([1]) ينظر 744.

([2])دلائل الإعجاز ، ص75:

([3])العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور ،ص:17.

الاستخدام يتكرر في عدد من القصائد، وقد اشتمل ديوان شاعرنا المعنون " **بالبيان** " على مائة وستون عنواناً للقصائد.

والعنوان علامة تنبض بالدلالات ، فهو نظام سيميائي طافح بالأبعاد الدلالية ،لأنه يشكل المفتاح لكنه غير ثابت والعنوان محيل ، وقد يحيل على التناقض والاختفاء ،من خلال بنيته الإشارية المختزلة "باعتباره أعلى اقتصاد لغوي ممكن ، يفرض على فعالية تلق ممكنة، مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل"[1] وهذه الأبعاد نجدها في عناوين بعض القصائد لدى بن صوفية والتي يحاول الشاعر من خلالها مفاجأة القارئ ومخالفة توقعاته، وهي طريقة أخرى من طرق الشعرية، فقد يحيل العنوان أذهاننا إلى معنى ما ،ثم يأتي النص ليشكل انزياحا معنويا قد يكون انزياحا جزئيا كما في قصيدة المعلم والجائزة إذ يعقد المتلقي أن النص يتضمن تكريم المعلمين والإشادة بدورهم ولكنه سوف يفاجأ[2] حين يجد في النص ما يتضمن، أسلوب السخرية ، والسخط على المعاملة التي لقيها المعلمون ، ومن يتتبع أبيات القصيدة يجد المفارقة بين ما يوحي به العنوان منذ الوهلة الأولى وبين مضمون النص.

| | | |
|---|---|---|
| **يا رسول العلم بشرى** | *** | **لك عند الله ذخرا** |
| **يا تعيس الحظ دنيا** | *** | **وسعيد الحال أخرى** |
| **جهلوا قدرك لما** | *** | **منحوك اليوم قِدْرا** |
| **نقّب النقيب عما** | *** | **يرفع التعليم قَدْرا** |
| **لم يجد غير قدور** | *** | **بعضها صغرى وكبرى** |

وفي أحيان أخرى يلجأ الشاعر لاختيار عناوين غامضة ،لكي يوقع القارئ إلى التساؤلات والبحث عن الأجوبة في طيات النص، قد يصل إليها في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى يدخل في متاهات أكثر غموضا من متاهة العنوان، وهذا الغموض "هو الذي يعطي فرصة للتأويل"[3].

فلو نظرنا إلى عنوان "عُدْ إلينا"

| | | |
|---|---|---|
| **أيها الغائب عنا** | *** | **عد إلينا لا تدعنا** |
| **نحن في شوق إليك** | *** | **قلبنا فيك معنّى** |

---

([1])سيمياء العنوان،بسام قطوس ،ص36.

([2]) تسلّم بعض معلمي مدينة زليتن قدورا لطهي الطعام بأحجام مختلفة... علها تكون رسالة أراد رئيس النقابة يوم تكريمهم أن يحمل في طياتها الكثير مما يود توجيهه إلى هذه الشريحة التي تربي الأجيال ..

لقد أثارت طبيعة هذا التكريم حفيظة الشعراء والأدباء والكتاب والصحفيين ففزعوا إلى أزبارهم ومزابرهم ردا على هذه الرسالة التي وضعت من قدر المعلم وإجلاله وتبجيله .

([3])هوية العلامات ،شعيب حليفي،ص21.

| | | |
|---|---|---|
| **فأنين القرب يشكو** | *** | **بعدكم ويتمنى** |
| **وصلكم فهو حياة** | *** | **ما لها في البعد معنى** |
| **ليلنا ليل طويل** | *** | **يتمطّى يتأنّى** |
| **في الْتواء وثناء** | *** | **يثقل القلب المعنّى** |
| **ارحموا صباً جريحاً** | *** | **بلقاء يتغنّى** |
| **شفّه الوجد فأضحى** | *** | **هائماً بالحبّ مُضنى** |

لرأينا أن عنوان النّص الشعري لا يدل علي محتواه، فيضطر القارئ إلى التأويل للوصول إلى علاقة العنوان بمضمون النص ،وبهذا يحقق بن صوفيا دمجا أكثر للقارئ في نصه الشعري لأن "النص بقدر ما يمضي في وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية، فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية"[1].

أما في قصيدته التي جاءت تحمل عنوان "صراع الحياة" فهو يحمل غموضا "يعدد المعنى ويعطيه فرصاً للتأويل"[2].

| | | |
|---|---|---|
| **طيران في جوّ السماء تخاصما** | *** | **كلٌّ أراد لنفسه أن يغنما**[3] |
| **فإليك مشهد ما رأيت وصغته** | *** | **شعراً به تجد البيان محكما** |
| **بيْنا أنا في غفلة إذ شدّني** | *** | **صوت من الأجواء أضحى ملهما** |
| **فرفعت طرفي ناظراً ماذا أرى** | *** | **فإذا العقاب وياله ما الأما** |
| **يهفو على ذاك الغراب بمخلب** | *** | **وبمنقر أبدى سلاحاً صارماً** |
| **نفض الغراب جناحه متأهباً** | *** | **ومنازلاً ذاك العقاب وبغّما** |
| **وتنازعا شر القتال و شؤمه** | *** | **كلٌّ أراد الفوز ثمّ المغنما** |

وعند الاطلاع على القصيدة وقراءة أبياتها ،ستبدأ عملية التأويل والإحالة على تأويلات أخرى قد تكون قريبة من العنوان وقد تكون بعيدة كل البعد عن معناه ، ومن هنا يكون هذا الغموض "لازماً ومقصودا لأنه مبني على وجه بلاغي يدمر المعنى القاموس ،ويؤسس على أنقاضه معان عدة لا تتشابه. ولكن رابطاً خفياً يربط بينها"[4].

هناك عناوين يستخدمها شاعرنا بن صوفيا لغرض التخصص، أي: للتنويه على أن القصيدة المتخصصة بموضوع محدد، فهو يوجه ذهن القارئ منذ الوهلة الأولى إلى ما قرر طرحه في النص ،ففي قصيدة (ليلة الأنس)

---

([1])القارئ في الحكاية ،امبرتو ايكو ،ترجمة أنطوان أبوزيد ،ص63.

([2])هوية العلامة ،ص20.

([3]) محمد صوفية ، الديوان ، ص64.

([4])هوية العلامة ، ص20.

يقرر بن صوفيا مند العنوان أن القصيدة تتعلق بما يدخل البهجة والسرور على قلب الإنسان وذلك يظهر من خلال عرض أبياتها، فهي قصيدة تتغنى باجتماع الأحبة ، والأصدقاء.

| | | |
|---|---|---|
| **ياليلة الأنس غنّي ردّدي الطربا** | *** | **فيك الأحبة عاشوا ليلهم طربا**[1] |
| **في حفلة من ربيع بات مجلسها** | *** | **يتيه بالأنس إن الأنس قد عذبا** |
| **فيها نشاوى بخمر الصفو قد عذبت** | *** | **والحسن يرفل لا قيدا ولا لببا** |
| **أكرم بها من سويعات يفوز بها** | *** | **من طالع الحسن وافاه ومحتجبا** |
| **ترى الأحبة فيها والنفوس رضًى** | *** | **أزهار روض تناغي أختها لعبا** |
| **ياليلة الأنس عودي أنشدي نغماً** | *** | **ألحانه أصغت الآذان والحجبا** |
| **فيك الأحبة نشوى من رحيق يد** | *** | **حسناء تصنع مما صاغت العجبا** |

إن هذه الطريقة في استخدام العنوان تفصح عن قَصديّة أدبية في التأليف وهي من سمات الشعرية المهمة ،لأن شاعرنا أخد يبتعد عن الموسوعية والتشتت في طرح المعلومات الأمر الذي كان يسبب للقارئ الكثير من التخبط والبحث حتى يجد ضالته بين الأبيات.

ومن مظاهر شعرية العنوان عند بن صوفيا حين يجعل من العنوان وصفاً للمتن ،ففي ذلك محاولة إعطاء صورة مشوّقة عن موضوع القصيدة ،فيثير لدى المتلقي الرغبة في القراءة كما في العناوين التالية (الدوحة المخضلة الفينانة، صمود الشعب ابنة الرحلة العسيرة ، ذكريات لا تنسى مع رفيق من رفقاء العلم ).

ولعناوين القصائد في ديوان بن صوفيا جملة من المميزات منها ما يتعلق بالبنية وأخرى يتعلق بالشكل وكلاهما أسهم في خلق شعرية العنوان، وهي شعرية مستمدة من شعرية النصوص، وأبرز تلك المميزات الشكلية ما يتعلق بطول العنوان .

**طول العنوان:**

و به يتحقق استفاء المعنى وتقريب الدلالة إلى فهم المتلقي وقد حرص شاعرنا صوفية على التخيّر الدقيق للعنوان الرئيس لأنه "النّواة التي يتمّ عن طريقها تبئير انتباه القارئ وهو الذي يشكل المفتاح الأول للمؤلف"[2].

ومن العناوين الطويلة(تحية لشعب فلسطين في عيد ثورته الخامس والعشرين، الورد رمز الحب والجمال، لا في الجمال أبيض ولا في الرجال خليفة، البيت الحرام منبع الهدي والنور، .....)

---

([1]) محمد صوفية ، الديوان ، ص94.

([2])هوية العلامات ص12.

وقد أسهمت هذه العناوين في توجيه ذهن القارئ إلى المعنى الذي أراده الشاعر، إذ شرحت جوانب، وقربت أخرى ،وأعطت فكرة وافية المحتوى للمتن ، فابن صوفيا يشعرنا بسحر اللغة وشعريتها منذ العنوان، فهو يخبر القارئ مسبقا بأن دخوله لعالم النص أشبه ما يكون بالدخول لبستان فيه مختلف الأشجار والثمار وبذلك لن يمل المقام فيه.

**الخاتمة :**

لقد تم لهذا البحث الوقوف على أهم ما يميز (محمد مصطفى صوفية) شاعراً، والتعرف على أهم الخصائص المميزة لشاعريته من خلال ما تناولته في هذا البحث من خصائص فنية، وكما التزم البحث بالمصطلحات العلمية التي استقاها من البلاغة العربية وذلك خلال دراسة شعرية اللغة في النص الإبداعي (شاعر زليتن أنموذجاً) ، كما تم رد كل هذه المصطلحات إلى مرجعيتها وتوثيقها ، لتكون النتائج المتوصل إليها مبنية على أسس علمية ومنهجية، وقد كانت النتائج المتوصل إليها فيما يتصل بشعر صوفية على النحو التالي :

**أولاً** : أن منهج شاعرنا كان على النهج التقليدي ـ الشعر الجاهلي ـ كغيره من الشعراء.

**ثانياً** : إن ألفاظ نصوصه تتمتع بسهولة الألفاظ ، ورشاقتها ، ووضوح المعنى.

**ثالثاً** : جاءت لغته مبتعدة عن الغموض تميل إلى الرقة والسلاسة.

**رابعاً** : إن شاعرنا بن صوفية كان دوماً يشعرنا بسحر اللغة وشعريتها منذ العنوان.

**خامساً** : إن شاعرنا صوفية يقوم عند بناء نصه الشعري بتغير الألفاظ التي تتمازج وتتسق فيما بينها لتكوين نصه الشعري.

**سادساً** : حقق بن صوفية دمجاً أكثر للقارئ في نصه الشعري لأن النص بقدر ما يمضي في وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية، فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية.

**مصادر ومراجع البحث**

1- *الأسلوبية ونظرية النص* المؤلف : د .*إبراهيم خليل* الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر بلد النشر: بيروت الطبعة: ط1السنة: 1997م.

2- الإيقاع في شعر السياب ، السيد البحراوي ، الناشر الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ط الأولى تاريخ النشر 1-1-2011م.

3- *البيان ديوان شعر ن محمد مصطفى صوفية ، الناشر مجلس الثقافة العام ليبيا 2008م طبع دار قباء الحديثة بمصر .*

4- *الخصائص* المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة عدد الأجزاء: 3

5- *دلائل الإعجاز*، المؤلف: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد *الجرجاني* النحوي أبو بكر؛ المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر؛ الناشر: مكتبة الخانجي – مطبعة المدني؛ عدد المجلدات: 1.

6- *استراتيجيات القراءة .التأصيل والإجراء النقدي* .تأليف : *بسام قطوس* .مؤسسة حمادة ودار الكندي. الأردن(*د_ت*).

7- *سيمياء العنوان* المؤلف : د .*بسام* موسى *قطوس* بلد النشر : عمان الأردن الطبة : 1 السنة : 2001م

8- *العنوان في الأدب العربي* .. النشأة والتطور ، تأليف: محمد عويس الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ، عدد الصفحات: 424 صفحة الطبعة: 1 مجلد: 1. تاريخ النشر: 1988/01/01م.

9- *القارئ في الحكاية* : التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، مبرتو ايكو، ترجمة : انطوان ابو زيد ,مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.

10- *قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث* تأليف: الدكتور محمد زكي العشماوي الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر الطبعة: الأولى 1979م.

11- *هوية العلامات* في العتبات وبناء التأويل .تأليف:*شعيب حليفي* الناشر: دار الثقافة، ، عدد الصفحات: 223 صفحة الطبعة: 1 مجلد: 1. تاريخ النشر: 2005/01/01م.